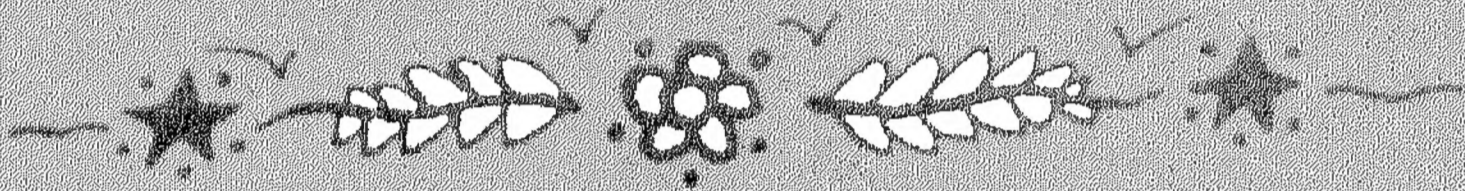


محمد الفيتوري



قوس البيت

قوس النهار



دارالشرق

قوسُ الليخ
قوسُ النصار

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع حواد حسي - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس SHOROK UN 91091
بيروت ، ص ب ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٥٥٥ - تليكس : SHOROK 20175 LF

محمد الفيتوري

قوس البيت
قوس الزقار

دارالشرق

الإهداء إلى R - A

. . . ولقد آثرت أن لا أبوح بأسمها . . .

ذلك لأنها تعينى وحدى

وإذا لم أستطع التطلع إليها فى شىء من قصائدى ، فذلك لأنها

تتواجد فى مكان ما من كتاباتى (١٩٩٣) .

إن R - A هى ذاتها قوس الليل . وقوس النهار .

فإلى تلك الصنوبرة الأطلسية التى أنحنت بأغصانها فوقى ، بعض

ما اشعلت فى روحى من أحاسيس الغضب والفرح ، والجمال

والعاطفة ، والقلق والانبهار .

محمد الفيتورى

إشارات

« . . . وها أنذا دائب الدوران حول الشمس . . .
فما أعجبها . . .

ولا سبب لهذا سوى جلال الشمس »
جلال الدين الرومي

ولا تلم السكران في حال وجدته
فقد رفع التكليف في سكرنا عنا
عبد السلام الأسمر الفيتوري

يشبه الشاعر أمير الغيوم
الذي يطارد العاصفة . . .
ويهزأ من رامي النبال
شارل بودلير

تحديث الكلاسيكية
أو
تطعيم المرمر بالأبنوس

بقلم الدكتور
محيى الدين صبحى

مقدمة

قارئ هذا الديوان سوف يعاني تجربة شعرية فريدة لأنه سيمر بتجربة الحداثة الشعرية من خلال نسج كلاسي قل لمتانته مثيل في شعرنا المعاصر. وحين يبلغ شاعر عربي أن يقدم الحداثة كما يعرفها الشعر العالمي ، أي أن يسمح الشاعر للتجربة أن تسيطر عليه وتصوغ حساسيته ، في قالب من السبك الذي يجعل اللغة تتجلى بإيقاعاتها وتغير مدلولاتها وتبقى متماسكة مترابطة - فإن مثل هذا الشعر يرتفع بشعر أمته إلى ذرى من الأصالة تضطربنا لإعادة النظر في شعر المرحلة ومفاهيمنا عن الشعر بعامة . فالحداثة تعتمد على وعي نقدي بالإجراء الشعري من جهة ، وبالتجربة العامة من جهة أخرى ؛ كما أنها تقوم على الموضوعية في الأداء بحيث تبرز التجربة وتتوارى ذات الشاعر حتى كأننا نسمع التجربة ذاتها تتحدث عن نفسها بلسانها . وفي هذا السديم تلغي

المقولات بعضها بعضاً فنبقى في فضاء الشعور الصافي الذي يكاد - لشدة
امتلائه بالمضمونات المتناقضة - أن يبقى شعوراً بدون مضمون :

جيلٌ رماديُّ الخطايا
يتهاوى كفراش الضوء
في مرآة جيل
وأوجه من زئبق
تكاد في مدارها القطبي أن تسيل
وكبرياء أُمَّةٍ
فكَّت عقود شعرها
في مشهد ذليل
وأنت ياسيدتي المنقوشة اليدين
بالأسطورة
المملوءة العينين بالعويل
لك الله ولي . .

وشعر الفيتوري بوجه عام . لا يفهم إلا بمعرفة خلفيته التاريخية .
لكن نمط وجود الحادث التاريخي . يختفى وراء ظواهر كونية يؤديها
الشعر بنوع من العرافة :

رُبَّما لم تنزل تلكم الأرض

تسكن صورتها الفلكية
لكن شيئاً على سطحها قد تكسر

هذا هو صوت العراف الرائي الذي ينطق بلسان الوعي الكوني . غير
أن هذا الوعي المرتبط بحركات الأفلاك وزلازل الأرض سرعان ما يتجه إلى
الإنسان :

غير أنك تجهل أنك
شاهد عصر عتيق
وأن نيازك من بشر تتحدّى السماء
وأن مدار النجوم تغير !

وهنا تقترن العرافة بمناجاة الذات ، ويغدو الوعي الكوني برزخا بين
المعجزة الغيبية والتاريخ الذي يصنعه البشر ، فنظف بهذا التعبير
الشعري العجيب « نيازك من بشرٍ » . البشر الذين يصنعون التاريخ
يغيرون الطبيعة . أو أن تغير التاريخ في مثل معجزة تغير الطبيعة .
وهذا هو ما أراد أن يقوله الشاعر . .

ليس ثمة من عبق في المعابد
تلك السقوف المشعة من ذهب سائل
والتماثيل من حجر مرمرى

وأيدى المصلين مصلوبة

والتراتيل دائرة من بكاء

إننا هنا نتبين شكل القصيدة من طريقة نظم الكلمات فيها ، وهو نظم قائم على اقتصاد شحيح بها ، فكأن الشاعر وهو يُحدّق في الحرث التاريخي مشدوهاً بمغزاه ، أخذته الدهشة ، فأرتج عليه ، وغابت عنه الكلمات . إنه هنا يحاصر اللغة ، ويضيق عليها الخناق ، حتى تؤتي كل ما لديها . وهكذا تتجدّد اللغة ، مثلما تتجدد الحياة .

دون أن تصهل الريح جامعة

أو تسيل عيون المزاريب

مرت وجوه الضغينة بالأمس

جيشا يعانق صلبانه . . ومضى

دائماً . . دائماً

إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة

تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزلية

شكل جديد فى أساليب الاكتشاف الشعرى حيث يجرى توليد الجديد من القديم ، وبقائها معاً متجاورين ! أو لا يتشابه ذلك مع الواقع العربى حيث يبقى القديم العفن ، ومع ذلك ينبثق منه واقع

متمرد جديد؟ أو لا تتوالد مشاهد التاريخ الواقعي ، من واقع أسطوري
يكاد لا يُصدَّق !!

ذات يوم تحجَّرت الشمس في . .

وكان أعرافى . .

قالت معذبة الصوت :

« أن السماوات ما عدن زرقاء

والصحو يتلع الحلم

والجوع يبسط تحت جناحيه

مائدة الخبز والفقراء ا

إنه ليس أبدًا كالآخرين . . إنه - وبحق نسيج وحده - يكتب مؤمنا
بقدره الكلمة على نفس الواقع ، وإحلال غيره واستحضار البديل بقوة
الرؤيا ونفاذ البصيرة وسمو المثل العليا التي يرقى إليها التعبير . إن محمد
الفيثوري من بين كبار شعرائنا المعاصرين البارزين الذين حاولوا زحزحة
هذه الصخرة ونطحوها بقرنهم وقفزوا في وجه الغول لينزعوا أنيابه . فعل
ذلك مذ كان يافعًا في الأزهر ، وعاشقًا لأفريقيا ، وحانيًا على أشلاء هذه
الأمة يرمم عظامها ويعطيها من دمه لتعود . . وقد عاصر تطور الشعر
المعاصر منذ الإصلاح العروضي في فرط البيت واستعمال التفعيلة إلى أن
صار لغزًا لا يفهم لاختلاط الرؤى على البصائر الكلية . فكان دائمًا من

الفحول في مقدمتهم ومن الحداثيين على مسافة تباعده عنهم ليسبقهم في إدخال الحداثة على الكلاسيية العربية وتوسيعها كي تستوعب رؤيا الشعر الذي تقطر وتجوهر حتى غدا شعراً للمستقبل . فهو يعيش صيرورة القيم في مسرى الحضارة حيث يكون الشاعر ، بحكم موقعه الإيديولوجى ، عنصراً فاعلاً في الصيرورة لأنه يعاني الشد الذي يتنازعه بين الواقع المتردي والانخطاف إلى عالم المثل .

محيى الدين صبحي

بيروت 1994

لوجهك ياسيدي!

في مدينة قلبى الغربية
حيث يفوح غطيطُ الغرائقِ
في بَهْوِها الملكيّ الحنونُ
جثوثٌ وحيدًا على ركبتيَّ
وبى قمرٌ غارقٌ في دمي
لا تراه العيونُ

وحيدًا أصليَّ

وكان على الماء نافيةٌ أشعلتها يدَاكَ
وآلهةٌ من جمالك هائمةٌ في سكونُ

لوجهك ياسيد القلب
ما سال من ذهب العمر مختلطاً بالرمال
وما نقشته الرياح القديمة
من صور في الجبال

* * *

لوجهك يا سيد الكون
تغدو حقول النجوم بحاراً من الضوء
هادرة في دجى مطبق من هيولاك
محرقة بصواعق سيفك

أزمنة الموتِ والظلماتِ
وفي نهر وجهك تسبحُ روحانِ
زنبقةٌ سكبثُ عطرها
في صلاة الصبح لديك
ونورسةٌ أبصرتك مع الفجر
فأستغرقتُ فيك مأخوذةً الكلمات

* * *

بلى . . ولأنك ياسيد الذات
تُشبه ذاتك في ملكوت صفاتك

في كل حال

خلعتُ تاجَها الشمسُ عند الظهيرة
وأحتجبت في سرادقِها الشفقِيَّ
لتملاً ثانية كأسها من رحيقِ الجمالِ

* * *

سيّدى ..

ولوجهك راقصتُ أقنعتى عارياً
وتسلّقتُ أغصانَ موتى
وأطرقت في ذروة الوصلِ أصفى إليك

وأنت تكبِّلني في دموعي وصممتي
وتسكبنسي في ترابي
وتقسو فتملؤني من عذابي
وترفعُ عني الغطاء
تُرَاك قسوتَ لأذُكرُ عمري
الذي كان تحت السماء
وصوتى المرصَّعَ بالعشبِ والملح
في زمن النور والأنبياء
وَحُرِّيَّتِي كيف كانت حياة

وكانت صباحًا . . وكانت مساءً
وكيف أستحالتُ . .
فلم يبق إلا رمادُ الحرائق والكبرياء
وبعضُ من الشعر
بعضُ من العشق
أكتبه . . وأُغنيه وحدي
غضبانَ متشحماً بالكآبة
غصانَ مختنقاً بالبكاء !

شِيخَات جِبَال الأَطْلَس

حاملاتُ الدُّفوفِ الإلهيَّةِ
النسوةُ الأطلسيَّاتُ
يُولَدْنَ في حجراتِ الأساطيرِ
حيث يلامسهن الجبال رويدًا
وَيَأْخُذْنَ أشكالهنَّ
حاملاتُ النقوشِ السماويةِ
الصَّاعِداتُ كعطرِ المجامرِ
صوبِ النجومِ بأصواتهن
يعانقن أيامهن العتيقةَ في رقصةِ النارِ

يصنعن من ذهب النوم والسحر
طقسًا عجيب التفاصيل
يضفرون عرسًا من الصور الشاردات
مزارًا من الموت والصلوات الغريبة
حيث يُتَوَجَّهْنَ بهاءُ الدهول
وَتَسْكُنُ أرواحهنَّ الشقيةُ
في ضربات التعاريج (١)

(١) التعاريج جمع تعريجة ، وهي اسم لأداة عزف تقليدية ، مصنوعة من الفخار ،
ومعروفة جدًا ، في أقاليم المغرب .

يشتعل الشفق المغربي المرصع بالذكريات
وتكسر آلهة المسك إبريقها الذهبي
ويكسو الشذى رعشات الحقول
وتلتف عاصفة العصر حولي
أنا الفجرى المسافر في دورة الأرض
تلتف عاصفة العصر حولي
محاصرني موجهها المتدفق في قنوات العيون
وأقبية المدن الهاربات من الضوء !

* * *

ذات نهار رأيتك
« قالت معذبةُ الصوت » :
- كانت سقوفٌ نحاسيةٌ
وتماثيلٌ خلف الغيوم
تطل عليك . .
وأنت تُجَدِّفُ باسم المسوخ
التي أنتصبت في الزوايا
وتذكر أزمناً ومدائن تائهة
في بخور التعاويذ . .

ثم حجبتك عنى
لكى لا ترانى في الزمن المستحيل
« فرسٌ راکضٌ فى رماد الضحى
يرقُّ مائلٌ فى غيوم الأصيل »

* * *

ذات يوم تحجرت الشمس فى ..
وكان أعترا فى ..

« قالت معذبةُ الصوت : »

أنَّ السهوات ما عدن زرقاء

والصحو يتلغ الحلم
والجوع يبسط تحت جناحيه
مائدة الخبز والفقراء

وكان انخطافي

أن رداء الحياة ثقيل

وَأَنْ الأقانيم خالدة ، والزوال احتمال

وَأَنْ جمالَ البديلِ ، بديلُ الجمال

* * *

ذات يوم ، تراءيتُ أغنيةً في خيالك

ثم أنحنيتُ حزينا على صورة الماء
كيف أنحنيتُ على صورة الماء
حتى تلاشيتُ عبر اكتمالك
كيف أشتعلتُ ..
وأبصرتني فيك أيقونةً
وأنا أتقلب في دهشتي واكتشافي !

تداعيات في زمن جورج غانم

إليه في ذكراه الأولى
شاعرًا وإنسانًا بلا حدود..

كُنَّا مَعًا نَسْرِقُ أَسْرَارَ السَّمَاوَاتِ
وَكَانَ الْعَمْرُ بَسْتَانًا مِنَ الشَّعْرِ
وَلِبْنَانٌ مَرَايَا مِنْ رَسُومٍ وَصُورٍ
كُنَّا إِذَا مَا أَشْتَعَلْتُ فِينَا الْأَسَاطِيرِ
كَسَرْنَا جَرَّةَ الْخَمْرِ الْإِلَاهِي
وَزَخَرْنَا بِأَيْدِينَا قَنَادِيلَ الْمَطَرِ
كُنَّا هُنَا يَا جُورْجَ ، يَوْمًا
هَلْ تَرَى تَذَكُرْنَا السَّاعَةَ ؟
أَمْ أَنْكَ مَا خُوذُ بِإِيقَاعِ الْقَدْرِ!

كنا هنا ..

لم نحتطبُ في غابة الماضي

ولم ننفخُ رمادَ العصر

لكنا تلكأنا على أرصفة الحزنِ قليلاً

لم نكن نغرقُ في الدهشة

لولا شفقُ ناءٍ بطيءٍ

ربما كان انعكاساتِ رؤى الموتى على الأحياء

أو كان أنهباً زمنيّاً في جدار الوقت

هل تسمعني في صمتك المثقل بالأزهار

إني قادمٌ بأسمك من أقصى مداراتي
إني صارخٌ باسمك ..

في حيث يكون الشعرُ إصغاءً إلى التاريخ
أو حيث يكونُ أسمك

تاجًا أرجوانيًا على لبنان !

هل تبصرني ؟

إني هنا يا جورج ..

مكتوبٌ على عينيَّ أن أبقى سجينًا في معانيك
وأن أبكي موتاي الكثيرين ، ولا أبكيك

أن يصبغ لونُ الرملِ أجفاني ، ولا أبكيك
أن يرتطم الإعصار في دربي ، ولا أبكيك
هل تغفر لي ؟
أنى أصليّ لك في شعري ..
ولا أرثيك ا
أنى أنحنى ، شمعة إيمانٍ
لدى أهبّة الموت
وأستثنيك
يا صاحب أيامي ..

يستغرقني منك ذهولٌ عاصفٌ
أمطارٌ قُدَّاسٌ سماويٌّ
وجوهٌ من شموعٍ ، وقناديلُ رخام
وخطى آلهةٍ مختالةٍ تمشى
فأبكيك ، ولا أجرؤ أن أبكيك
أعدو كاشفَ الصدر
وتعدو مركبات الموت من حولي
فأدأخلُ في صممتي
أبكيك ، ولا أبكيك

أرثيك ، ولا أرثيك
بابٌ موصدٌ هذا الأسي الممتدُّ في روعي
باب حجريٌّ موصد
أوديةٌ وحشِيَّةٌ العشب
وشمس رثَّة
وأنت ماض بانفعالاتك . .
مَكْسُوٌّ بأحزانك يا جورج
إلى أين ؟
تريثٌ لم يزل لبنان لبنان

يذوب الثلج في ناعورة الوادى
ويصحو الجبلُ العالى ، ويعلو نجم لبنان
فلا تعجلُ ..

ولكنك تمضى يا حبيبي مسرعًا
تملاً هدى الأرض ، شعرا ومزامير
وتمضي قلعا وموجعا
وأنت في نأيك .. لم تزل هنا ..
ولم تزل هناك ..

أرزة تغسل رجليها بماء النهر

أو عصفورة تنقر وجه الريح
أو ساريةً من هبٍ تخرق الضباب

* * *

أبكيك ، ولا أبكيك
أرثيك ، ولا أرثيك
فالموتى ينامون على أكفانهم
وأنت حي بيننا
وليس موتاً أبداً هذا الغياب !

الرباط - بيروت 1993

صورة السماء ..

(إلى الفنان عبد الله غيث)

— 1 —

حَدَّقَ فِي الْمَشْهَدِ كَالْبُغُوتِ . .
كَانَتْ تَتَدَلَّى الشَّمْسُ مِثْلَ طَائِرٍ أَسْوَدَ
مَصْبُوغِ الْجَنَاحِينَ . .
وَمَصْلُوبٍ عَلَى أَعْمَدَةِ الْفِضَاءِ

— 2 —

أَغْرَقَ فِي الْمَشْهَدِ
كَانَتْ عَرِيَاتُ الْعِجْرِ الرَّحْلِ تَنْسَابُ مَعَ الْأَشْبَاحِ

في الفجر الضبابي
وكانت زهرةُ التاريخ في معطفها القاني
ورملٌ في الينايع . .
وعشبٌ في صخور الجبل الجرداء

— 3 —

غاب عن المشهد . .
عادةً تضاهي صورةُ السماء صورةَ السماء

— 4 —

كان إذا الظلمةُ قصَّتْ شِعْرَها المائلَ
فوق الماء

يُشْعِلُ ذاته

ويطلقُ أسمه على غرائب الأشياء !

الرباط 1993

بالحب أو بالرحيل !

ثلاثُ نجمَاتِ بلا طقيسٍ إلا هيَّ
ثلاثُ صور تغرق في روزنامة الماضي
عروشٌ من نحاس
وتمائيلٌ على الرمل
وأشباحٌ تسيل في الهواء
ها هوذا منتصفُ الدائرة القطبيِّ
تلك الكرة الضخمة ، لن تقوى على احتمالنا
فاحمل فضاء مفعماً بالحب في صدرك
أو فأرحل

تقول امرأةٌ في الظل
- كان الله يومًا ، صورة تطبع هذا الكون -
ثم أتزاحت الصورةُ
وأستبدلها الإنسان بالأقنعة الأخرى
يقول الرجل الشاردُ في الأيام
- ليس القهر ، حيث أتسعت خطوته
إلا أمتداد القهر
والأرضُ التي تبتلعُ النعمة
بركانٌ من الأبخرة الرطبة

والأصبغ ، والملح
فهل أدركت القوة
معنى أن يكون الظلم تاريخاً
وأن تركض روح الحق كالمجنون
في أبهاء هذا العصر !

الرباط 1993

غيوم المدن الصفراء

تحت هجيرِ فاقعِ الألوان
عشنا عصرنا - نحن مرآيا العصر -
عشناه خطاةً ومُرائينَ ، ومضطربين
حتى أُختلطتْ أمواجه فينا
وغطتْنا غيومُ المدنِ الصفراءِ
هل كنا سُقوفاً من زجاجِ زخرفتها الشمسُ
هل كنا انبياراتِ بروقي ، في كهوف الليل ؟
أم صقوراً ، نفضت ذات شتاء ريشها الوحشى
من كان هنا قبلاً ، وأصغى ، ورأى ؟

مَنْ جَاءَ حَيْثُ لَمْ نَجِءْ قَطَّ
وَمَنْ أَرْخَى سَتَائِرَ الشَّمْعِ خَلْفَهُ
وَأَنْطَفَأَ

مَنْ شَقَّ فِي قَلْبِ الْفِضَاءِ فَجْوَةً
ثُمَّ مَشَى دَاخِلَهَا وَأَخْتَبَأَ
وَمَنْ تَدَنَّى وَدَنَا
وَمَنْ تَنَاءَى وَنَأَى !

لحظة ياسحاب الجمال

كيف باغتك الوقتُ ياذهبَ الوقت ؟
حتى كأنك لم تسق رُوحين
من شهوةٍ في الخيالِ
تريث ، ولا تنهمك في الغيابِ
إنكسرَ شفقًا سائلًا في أوانى السماء
أخذ من نواظرننا شُرْفَةً رحبةً للغناء
نحن أسرى بهاءِ انكسارك
فامتد عبر انكسارك
عاصفةً من طيور البحار الشريدة
أو رجعَ قيثارةٍ في انحدار المساء

انسكب في جوانحننا . .
سَوْفَ تَمَطِرُ فِيكَ الْغَيْومُ
التي لم تُعَدِّ فوقنا
وأشتعل في أناملنا
سوف تُومِضُ فِيكَ الشُّمُوعُ
التي انطفأت بعدنا
لحظةً يا سحاب الجبال
لا تُعَجِّلِ بِنَا
نحن سكرى ، ورقصتنا لا تزال !

1993

من شرفة باريزية

منذ سنين مررت من هنا
وقفت طويلاً ، تحت هذه السماء
هل تراها باريس أخرى !
لم تعد الأشياء هي الأشياء
تغير كل شيء . . لم يتغير شيء
هي التي تغيرت . .
أنا الذي تغيرت . .
لم يزل راسين وكورني . . فيكتور هوجو
وجورج صاند . . شارل بودلير وجان كوكتو . .
بيكاسو العصبى وجوجان . . سارتر و سيمون . .

كُلُّ فَوْقَ مَقْعَدِهِ الْحَجْرِيُّ
فِي حَدِيقَةِ الْمَدِينَةِ الْخَالِدَةِ
الَّتِي صَنَعْتَ يَوْمًا مَا ، تَارِيخَ هَذَا الْعَالَمِ
تَلَفَّتْ حَوَالِيكَ . . بَلَى تَلَفَّتْ حَوَالِيكَ . .
إِنَّ السَّيِّدَةَ الْجَمِيلَةَ ، الْعَرِيقَةَ الَّتِي
كَانَتْ عَشِيقَتِكَ ، ذَاتَ صَبَاحٍ ، ذَاتَ مَسَاءٍ
لَمْ تَزَلْ تَحْمَلُ عِبْقَهَا وَنَضَارَتِهَا ، وَهِيَ تَطَّلُ عَلَيْكَ الْآنَ
مَسْتَرْخِيَةً ، وَبَازِخَةً ، وَوَدِيعَةً
مَلِيكَةَ أُسْطُورِيَّةٍ تَتَأَلَّقُ فِي شَرْفَةِ بَارِيْسِ
أَنْتَ الْآنَ هُنَا . .

والآخرون هناك
أنت الآن أعمق سكينه
ولكنك أشد اشتعالا . .
أقل جنونا ، ولكنك أكثر طمأنينة
ليت لنا ، نحن الذين نمضغ ليل نهار
في بلادنا ، كلمات الحرية والديموقراطية ، وحقوق الإنسان
ليت لنا ، بعض مالنا هنا
في وطن الغربية ، باريس !

باريس 1993

كتابات قديمة !

يَسْهَرُ الْمَوْتَى الَّذِينَ اغْتَسَلُوا
في مطر الشمس ..
وموتاك يِيَامْ
قطفوا زهرتهم في الزمن الماضي
أستراحوا ..

وتغطّوا في خطاياهم بأعشاب الظلام
ثم ماذا جنت الأوطان من أيامهم ..
إِلا حطامً ، في حطام ، في حطام !

تقاسيم على المتدارك

نَادِرًا مَا تَفُوحُ زُهُورُ الْخَطَايَا
نَادِرًا مَا تَبُوحُ الشِّفَاهُ بِأَسْرَارِهَا الْمَخْلُوقَةُ
نَادِرًا مَا تُقَلِّبُ أَشْكَالَهَا

صُورُ الْمَوْتِ فِي الْكَائِنَاتِ

نَادِرًا مَا تُنْجَبِي قِيثَارَةَ صُوتِهَا فِي الرَّمَالِ
نَادِرًا مَا تَكُونُ الْقِنَادِيلُ أَعْمِدَةً لِلْغِيَابِ
نَادِرًا مَا تَمُوتُ الْعَصَافِيرُ

فَوْقَ رِفُوفِ الْغَيُومِ

نَادِرًا مَا تَسِيلُ الْحُرُوفُ

نادرًا ما تشع الكآبة في ضحكات الوجوه
نادرًا ما تنام الإرادة في رحم الكبرياء
بانتظار اشتعال السماء!

الرباط 1993

زهر الكلمات!

لم أجد غير نافذة في سائك
مبتلة بدموعى
فألصقتُ عيني فوق الزجاج
لعل أراك
لعلك تبصرنى ، وأنا هائمٌ
مثل سرب من الطير ، منهمك في مداك
لماذا تلوح لي من بعيد
وتتركنى مغلق الشفتين
وتدخل في غاية من سناك

لماذا تغيب ؟
كأنك لم تدر أنني زرعتك في جسدي
فأزدهرت نقوشاً
وَأني نثرتك في أفقي
فأشتعلت شموعاً
وَأني رسمت أوديةً ، ومدائن مسحورةً
وتشكلتُ مثلك في زرق الكائنات
وما زلتُ أولدُ في زهر الكلمات !

المتفرد بذاقه

والآن تسألني !
وقد غطى أسمك التاريخ
بالسورق المذهب
والأكاليل الحزينة
وأحتفالات الرتابة
كيف تبصرني ؟
وكيف سيقراً الآتون ذكرى
في السنين التالية
وأقول يامولاي :

إِنَّكَ فَوْقَ مَا أُدْرِي
وَأَكْبَرُ مِنْ خِيَالَتِي
وَإِنَّ أَكْ قَدْ عَرَفْتُ
فَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ عَرَفْتُ
وَأَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا
وَأَوْشَكَ أَنْ أُشِيدَ بِذِكْرِ عَصْرِكَ
غَيْرَ أَنَّكَ أَيُّهَا الْبَشَرُ الْمُقَدَّسُ
ذُو التَّفَرُّدِ وَالْمَهَابَةِ . .
فِي الْحَقِيقَةِ طَاعِيَةٌ !

تداخلات

أَصْغَيْتُ ..
كان الرملُ في طاحونةِ البحر
وكان الصيفُ في غنائه المضطربِ الخجولُ
وَقَبَّعَاتُ الورقِ الأصفر
يستغرقها تآكلِ الفصول
وقلت : يالللحزن ضباع العُمر ..
قالت : إنها الأيام
قلت : الشعر
قالت : خيمة الأحلام

قلت : الحُبُّ

قالت : ذَهَبَ العَاشِقُ في المَعشوقِ
والمَخْلوقُ في الخالقِ

.. ثم أَنهَرتُ مصغيةً ..

واختلط السائل بالمسئول

- ماذا قالت النجمة للنوتة

والطينة للشمس

وهل أوشكت الكاهنة العمياء أن تقول ؟!

بين النقيضين

بلى . . وتمشى بغلة الصوفي فوق الموج
إن شاء . .
ولا تبتل بالماء
ولولا سره في الكون
لأمتد سحاب قرمزي هائل
بين المجرات
فلم تبصر عيون البشر الفنانين
إلا عتمة الأشياء
يابغلة شيخي . .

الحبُّ لا يسطع إلا في مرايا الحب
والخارج بأسم الله ، مشدوداً على آخره
بين النقيضين
وصوت الحق أجراًسٌ تدق الآن
في أحشاء هذه الأرض
والنار حُوازُّ العدل والقوة
والعدل بلا عينين !

قداس أفريقي لروح الشيطان

نَجْمَةٌ مِنْ دَمٍ
أَشْعَلَتْ ذَاتَ لَيْلٍ رَمَادَ يَدَيْهِ
فَأَقْفَى حَزِينًا ، عَلَى بَابِ خِيَمَتِهِ
وَأَسْتَحَالَ إِلَى مَحْرَقِهِ
عَرَفْتَهُ السَّمَوَاتُ ذَاتَ الْعَيْونِ
الْمَغْطَاةِ بِالثَّلْجِ
وَالْأَرْضُ حَارِسَةُ الْمَوْتِ وَالْعَتَمَةُ الْمَطْلُوقَةُ
عَرَفْتَهُ سَقُوفُ الْخِرَافَاتِ
وَالصَّلَوَاتُ الْكَثِيْبَةُ

والصور المرهقة
صنعوه كما صنعوا غيره
هدموه ، وبينونه في غد
ربما أستنسخوا مثله
ربما أستنسخوه ..
ولكنهم الآن ، في حفل قداسهم
ينحتون له خشب المشنقة

1993

لا شيء يا مرج الزهور

لا شيء

إلا مركبات الثلج فوق الثلج جانحة
وأقمار الفيافي المعتمات تموج
في ذهب المتاحف والمصاحف
والشواهد والقبور

لا شيء

إلا برق أمواج المجرات المجنحة
التي عبرت ، وتعبر مرة أخرى
وتعتاد احتمالات التلكؤ والعبور

هى نفس أزمنة التهايل التى هجرت متاحفها
الفضاءات التى أُتَشَّحَتْ بأمطار العصور
نفس البيارقِ والبنادقِ
والحرائقِ والمشانقِ
والمزالقِ ، والصخورُ
لا شىء ياموج الزهور
ما دام سيف القهر فوق إرادة الإنسان
سوف تظل روح العدل هائمةً
تسابق ظلها الثلجى

والتاريخُ أوراقٌ مزوقة
على الحيطان
والدنيا تدور ولا تدور !

1993

الكرنفال

يا هدى المدينة ..
مأخوذةً بانهياراتها وهى تحلم بالمستحيل

يا هدى المدينة ..
مزهوةً ، مثل أغصان كافورة
تتزين في كرنفال الرحيل

يا هدى المدينة ..
قلت لنفسي :

إنى تناثرت فوق حوائطها ذات يوم
وتسكننى الريح ملء طواحينها ذات يوم

وأَمْضَى ..

ويبقى العذاب ورائى
ويأتى الذين سيأتون من بعد
هذى المدينة من جسدى
فهى أزهار صيفى الحزين الجميل
وعشب شتائى

وكنت إذا ما استدرت ، فلم ألق
غير نعوش النبين فوق يديها
تقوِّعتُ في كبريائى

وأطفأت شمعي ، منكفئًا
في مدارى الطويل
بعض هذى المدينة موتي
وبعض الدم المتجمد في شفيتها غنائى !

1993

قمر الغناء!

مَطَرٌ أَخْضَرٌ ، وَعَيُونَ مَرِصَعَةٌ بِالرَّؤْيِ وَالْأَسَاطِيرِ
كَانَتْ تَحَاصِرُنِي الذِّكْرِيَّاتُ
وَبَارِيْسُ سَابِحَةٌ فِي الْفَضَاءِ السَّمَاوِي
بَارِيْسُ تَبْنِي كَنَائِسَهَا الذَّهْبِيَّةَ
فَوْقَ جَسُومِ مَحْنَطَةٍ فِي التَّوَابِيْتِ
بَارِيْسُ لَيْسَتْ مَدِيْنَةٌ . .
وَتَطْلَعْتَ فِي الْبَشْرِ الْعَابِرِيْنَ
كَأَنَّ سَحَابًا مِنْ الصُّوْرِ الْمَشْمَسَاتِ
يَذْكُرُنِي بِتَرَابِ بِلَادِي

ويلقى حرائقه في جروحي
كأنك أنت التي أشتعلت نجمة
ثم غابت مع الوهج المتدفق
أو موجة الكلمات التي انفرطت
فجأة في دموعي
أواه ، لو كان لي لجعلتك في غريتي
قمرًا للغناء

يارفيقة روحى

فباريس من دون وجهك أرض حزينة
وباريس ليست مدينة !

مونولوج داخلي

تظُلُّ بين الحلم واليقظة
بين الموت والدهشة
بين الصمت والبكاء
تبحث عن عاصفة في الغيب
أو معجزة في الرمل
أو أجنحة في الماء
يكبر من يكبر في ظلك
أو يصغر من يصغر
أو تعتم تلك الشمس أو تضاء

وضحكةٌ صمغيةٌ صفراء
فوق ضحكة صمغية صفراء
وسنةٌ عرجاء أثر سنةٍ عرجاء
والأرضُ في محورها كالأمس
تجربى ، أو تدورُ ، أو تغوصُ في الهواء
إلى متى ؟ إلى متى ؟
وأنت هكذا ، بلا بدء ، ولا انتهاء !

الرجل الذى خانوه!

لَمْ يَقُلْ شَيْئًا

مضى يهدر كالشلال في أودية الموت الرُّخَامِيَّةِ
غضبانَ جحيميِّ المعاناةِ ، شريدًا ، وطريدًا
لم يقلْ شيئًا . .

بلى . . أنشأت على خاطره

ساعةَ خائنه الخياناتُ التي تفتش العصر

وساقتَه إلى الماضي شهيدًا

أنه باقٍ . . وهم موتى

وَإِنْ طالت على الأرض لحاهم

ولهذا لم يقل شيئاً

بلى ، قال :

سأحتاج إلى مقصلةٍ سوداء

كى أقطع رأس الشمس

هل تسمعني الأفعى التى تركض

في صندوقها العاجي

هل تسمعني الصحراء

من عيني هذا الوهج الساطع

في أيامها الرئية

إِنَّ أَسْمَى مَحْفُورٍ عَلَى أَبْوَابِهَا الْكُنْبَرَى
وَصَوْتِي دَقَّةَ النَّاكُوسِ ، فَوْقَ الْمَدَنِ الْمَيْتَةِ
وَأَنْشَقَّ سِتَارَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
فَأَنْسَابَتْ أَغَانِيَهُ بَعِيدًا
لَمْ يَقُلْ شَيْئًا !

تونس 1993

مرآة على النفق !

جِيلٌ رَمَادِيٌّ الْخَطَايَا
يَتَهَاوَى كَفَرَاثِ الضُّوءِ
فِي مِرَاةِ جِيلٍ . . !

وَأَوْجُهُ مِنْ زَبَقِي تَكَادَ فِي مَدَارِهَا الْقُطْبِي
أَنْ تَسِيلُ
وَكِبْرِيَاءُ أُمَّةٍ . .

فَكَّتْ عَقُودَ شَعْرِهَا فِي مَشْهَدِ ذَلِيلِ
وَأُخْرِيَاتُ شَفَقِ نَاءٍ، وَمَاضٍ مُسْتَحِيلِ
وَأَنْتِ يَا سَيِّدَتِي الْمَنْقُوشَةَ الْيَدَيْنِ
بِالْأَسْطُورَةِ

المسكونة العينين بالعويل
وحدك ، لا أشعةٌ تخرق الأحجبة الكبرى
ولا أجنحةٌ تهتك أسرار المجرات
لك الله ، ولي . .
كيف ستجتازين في هيئتك الرثة
بَوَابِ هذا النفق الطويل !

مولد أغنية

في الرصيف المقابلِ
كان الغريبُ يمرُّ بطيئاً ومشتعلاً
كان يخلط ألوانه ، ثم يبصقُها كارهاً

في عيون المدينة

ياوطناً حاصرته هزائمه

ما الذي يصنعُ الشعر

قل لي وحقك يا وطني

ما الذي يصنع الشعر ؟

والموج يرقد في الرمل ، والرياح مثقلة بالرماد

مَنْ ترانا نكون ؟ ومن أى عصرٍ أتينا ؟
وفي أىِّ عصرٍ نعيش ؟
وهل نحن بالفعل أبناءُ آبائنا ؟
مَنْ يُضَيِّعُ معابدنا ، حين نمضى غدًا ؟
وأراجيحُ أطفالنا ؟
هل ستحملها الريح ؟
في طول أو عرض هذى البلاد

* * *

في الرصيف المقابل

كانت مياه الينابيع تحلم
والشمس تضحك في سرها
والأغاني الجميلة تشرق
في غسق الاضطهاد !

1993

ايرما الطفلة والجنرالات!

— 1 —

فرسان الرايات الصفراء
المسكونون بصوتِ الريح
يُدقُّون الأجراس

ويحتفلون بعيد النصر ، على إيما المسكينة

— 2 —

كانت إيما شتلة ورد في شرفاتِ البوسنة
تسبح في عسل السنوات الخمس
وتَغفُو ساذجة العينين ، ملونة الأحلام ،

وذاآ ضياءِ

ذاآ ظلام

آاء الجنرالآآ طواويس الدول العظمى المنهارآ

وأأآالوا إيرما ، واأآالوا فوق عظام مدينتها

— 3 —

هل آقا عاد الماضي

يصرخ في روح التاريخ ؟

وهل صنعآ إيرما المسكينة مجد الجنرالآآ ؟

الرباط 1993

الصورة الأخرى للشاعر

مهدها إلى محي الدين فارس الشاعر ..
في تراجمها الواقعية الإنساني ..

تتوارى الأوجهُ في غابات الأوجهِ
والأشياء تهاجر في سفر الأشياء
وهموا في إثرك ، مثل مياه الوقت المعتم
ينحدرون على حطب التاريخ
ويغتالونك بالكلمات
كأنك أنت الواقف وحدك
تحت سقوف السيرك
تراقب كيف تموج قرود السيرك
وكيف تُفصّل شمس الليل ، معاطف من ذهب
وعرائس من ورق ، وكواكب من كلمات

وكأنك أنت الشاهد وحدك
أنت سليل الآلهة ، المدموغُ على كتفيه ،
العاصفُ ملء جنون اللعنة
أنت المغمض عينية ، المغرورقتين
على موسيقى الضوء ، وإيقاع الأصداء

* * *

وكأنك أنت . . وأنت الشاعر
في السنوات الصعبة . .
محض حنين . . محض تقاطر ماء !

تجاعد هذا المساء

ليس ثمّة من وَهَجٍ في ضفائرها
أحتجبت رُوحها ، وأستدارت بيارقها
فالغيوم حرائقُ آلهة
والفضاءاتُ مجرى هواء
أيها العاشق ، أسكب دموعك في كبرياء
وأختبئ في معانيك ، أنى تشاء

* * *

ليس ثمّة من عبق في المعابد
تلك السقوفُ المشعّةُ من ذهبٍ سائل

والتماثيل من حجرٍ مرمرى
وأيدى المصلين مصلوبة
والتراتيل دائرة من بكاء

* * *

ليس ثمة من حلم في تجاعيد هذا المساء
أنتم اثنان : عصرٌ وعاصفة
فلماذا تقلب وجهك في أوجه الناس
يأسًا من الأرض ؟
أو خشيةً من سقوط السماء !

1993

رتشوش على
لوحه صوماليه

مقديشو التي لبست دمها . .
مقديشو الوجوه الحزينة . .
لن تكون ، ولم تك من قبل
أول مركبة في الجحيم
وآخر أزوجة في المطر
مقديشو التي شربت كأسها
مقديشو الرياح السجينة
أزهرت بذرة الموت في أرضها
والتوى الجوع والقهر حول جذوع الشجر

أَتْرَاهُ عَقُوبُ الْبِشْرُ
أَمْ تُرَاهُ أَنْتِقَامُ الْقَدْرُ
مَقْدِيشُو عَلَى قَبْرِ تَارِيخِهَا . .
أُمَّةٌ تَنْتَحِرُ !

1993

ٲرننمة لئلة رأس السنة

مِثْلَمَا أَنْتَ فِي الرُّوحِ
حَيْرَانٌ مَنْكَسِرٌ ، شَاحِبُ الْوَجْهِ
تَحْتَ ضِيَاءِ الشَّمْعِ
لَكَأَنَّكَ لَمْ تَأْتِ مِنْ قَبْلِ
فِي مَنْ تَجَسَّدَتْ فِيهِمْ
كَأَنَّكَ لَمَّا تَجِبِيءُ بَعْدَ يَاسِيدِي يَاسُوعِ
جَعَلُوكَ كَنَائِسَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقَدَادِيسَ وَحَشِيَّةً
وَبَنَوْا فِي ظِلَالِ الْعِشَاءِ السَّمَاوِي
حَائِطَ أَحْقَادِهِمْ

وَتَغَالَوْا فَأُضْحَى صَعُودِكُ سَقَطَةَ إِيمَانِهِمْ
وَأُرْتَعَشَاتُ وَجَدِكُ ، رَقِصَةَ رَعْبٍ وَجُوعٍ
وَنَسُوكُ ، فَأَيَّةُ أُغْنِيَةِ يَوْمِ عَيْدِكُ
أَيُّ الْقَرَابِينُ مَتَّصِلٌ بِكَ ؟
وَالْأَرْضُ حَوْلَكَ ، سَوَطٌ وَمَقْصَلَةٌ
وَالسَّمَاوَاتُ ، كُلُّ السَّمَاوَاتِ . . .
مَكْسُوءَةٌ بِالدَّمِوعِ !!

1993

صورة الماضي

وَتُنْكِرِيَنِّي
كَأَنَّ الزَّمَانَ الثَّلْجِيَّ لَمْ يَلْبَسْ رِدَاءَ الْبَرْقِ
وَالْأَرْضَ الَّتِي عَانَقَتْ التَّارِيخَ لَا تَزَالُ
عَجِينَةً مَنْسِيَةً فِي الْكُونَ
وَالكَلِمَةَ لَمْ تَخْضَرْ فِي أَوْدِيَةِ الْخِيَالِ
وَالصَّمْتَ فِي أُرْتِعَاشَةِ الْجَمَالِ
كَأَنَّا - يَا حِلْمَ الصَّحْوِ وَالْاِكْتِمَالِ -
جئنا على صُورَةِ مَاضِينَا
نَبْكِيهِ أَحْيَانًا وَيَبْكِينَا
وَنُنْتَهِي فَوْقَ أَمَانِينَا

قوس الليل .. قوس النهار

شبيهة في صمتها الأخضر
بالخيل التي تزهل في ذاكرة الماضي
وبالنجم الذي يحرس أبواب الشتاء
حاملة كأنها ترفل في طقس من البهاء
ناعمة كطفلة عارية مكسوة بالماء
هل تعرفين ثمننا للحب ياسيدتى
قالت : وهل غير اكتماله بالحب؟
- والإيمان؟

قالت : عبق في الروح

- والرغبة؟ والقسوة؟ والحنين؟
والغسق الليلي؟ والتآكل الحزين
قالت: وماذا بعد؟

- في أيامنا، وأنت في أيامنا
يسقطُ قوس الليل، معكوسًا على قوس النهار
ونحن.. نحن البشر الفانين في هذا المدار
نجيء مغلوبي اليدين
نذهب مغلوبي اليدين
وقد نموت مطبقى الشفاة

عاجزين ..

مثلما ترين .. !

مثلما ترين !

الرباط 1993

بعض الناس!

النار تطبع وجهها القزحي
في موج الستائر والقباب البيض
هل تصغى إلى اللغة التي نطقت بها الثيران . .
أية لعنة تجتاح هذا الجيل ؟!
- لن يصغى الرماد لغير فأس الريح
- سرُّ عذاب هذا الجيل ، في أكفان جلاديه
- كيف نسيت أنك شاعر والقوم موتى
ومضيت تنحت تلکم الأوثان في شفئك نحتا
وكأنَّ من شربوا دما ، وتقيأوه دمًا ، ومقتا

ينسون أنك أنت بعض الناس
والطغيان أعلى منك صوتًا
يا لافتضاح السر ، كيف نسيت أن المخطئين من الرجال . .
هم الرجال المخطئون :
الجالسون على حطام عروشهم . .
وأنا وأنت !

شعراء وسلاطين

دون أن تَصْهَلْ الرِّيحُ جاحمةً
أو تسيل عيون المزاريب
مرت وجوه الضغينة بالأمس
جيشًا يعانق صلبانه . . ومضى
دائمًا . . إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة
تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزليّة
ياسيدى الشعر . . إنك تصغى طويلا
إلى رجع صوتك في فجوة الكون
إنك تبصر ذاتك ، منقسم الذات ، في شهوة النار والماء

فوق الحرير الدمشقي ، غاصت رؤوس السلاطين
والشعراءُ النبيين من قبل
ما أشبه الكبرياء الوضيعة بالطحلب المتحجر
في صخرة الغاب
ما أبعد النوم عن أعين شهدتْ
كيفَ يسَّاقط الراقصون على ذهب العصر
بعض الذين تفوح عفونة أيامهم
مومياءٌ مذهبة العظم ، ينقصها أن تتوج في القبر !

موسيقى فوضى الأشياء

يرُوقُ للعابد أن يرى انسكابَ وجهه
في شمعة البكاء
يروق للشاعر أن يُعلّقَ النجوم في قطيفة السماء
يروق للمرأة أن تنشر نصف شعرها في الشمس
والنصف على أريكة المساء
يروق للقطعة أن تمارس التثاؤب الجميل
والتحديق في مدفأة الشتاء
يروق للصوفي أن يخلع تاج العقل
أو يلبسه في الحلم ، عندما يشاء

يروق للطاغية الإبحارُ في ذاكرة الموتى من الأحياء
يروق للأعمى اكتشاف عبث الألوان
في تماثل الغناء
يروق للجاهل أن يغرس وردتين في قميصه :
الغرور والغباء !
يروق للقاتل أن ينصت مشدوها إلى قيثاره الدماء
يروق لي ، أن أسأل الطفل القديم :
- هل رأى طفلا من النور يذوب في الهواء !

الرقم المفقود في القدس

كان المساء ، باردًا وموحشًا
وكان أن الملك العبري داوود
أفاق من سحاب نومه . . .
ثم رأى أن يتمشى فوق سطح القمر
- هل تلك التي تغسل في الظلمة نور جسمها
« بِتَشْبَعُ » المرأة ، ربة الجمال ؟
عُنُقُ كِشْمَعْدَانَ مَرْمَرِيٍّ
يتلألأ تحت سقف القدس
ساقان كمثل قلعة عالية

جدائلٌ من ذهب ، ترقد فوق الكتفين
أُخترتها لي - قال داوود الذي يحمل تاج الرب -
إني أُخترتها لي أنا وحدي . . .
فأمض يا حَيُّي مقتولا ولا ترجع
أو أرجع إن تشأ جُثَّةَ مَصلوبٍ
على أشجار تلك الحرب
أنت الرقم المفقود ، قبل الفقد ، هل تسمع ؟
مُتًا ثمة أنى شئت
إن المجد أن تمضي إثر الريح
مقتولا . . . ولا ترجع !

طائر النورس ينفق البحر!

لغرابية وحشية في الكون . . .
تنحدر النجوم هناك مائلة . . .
ويتكىء الرجال المتعبون على أرائكهم هنا
ويظل طير النورس البحرى ينفض ريشه متأرجحا
أو ينقر الأمواج ، أو ينساب فوق الماء !

* * *

كنت أنحوض تحت سقوف هذا الكون
أضرحه من الكلمات والأصوات الأسياء
كنت أكاد أرتجل اعترافاتي . . .

على أمم مُحَدَّبة من التقديس والإخصاء
كان العمر يصدأ في أوانى الوقت
أو يهوى دخانا في انهار تحطم الأشياء
ياشجر السماوات المغرد
ما الذى أبقيت للشعراء ، غير كآبة الشعراء
والفقراء والموتى ؟
وهل لازلت تمسح في غصونك أدمع الفقراء والموتى ؟
وماذا في جبال الشمس ؟
منذ نفضت عن كتفيك ثلج العتمة البيضاء !

رحيل المفاجأة ...

(مهداة إلى الراحل على شلش)

كعاشق أوغل في حنينه مثلك
هل يمكننى مثلك
أن أوصد باب الحزن من خلفى
وأن اشعل شمس الليل بالغناء؟

* * *

حين يحط الطائر الشتوى في الموج جناحيه
وينساب كقوس قزحى في أرتجافات الهواء
وحين يغدو الله والإنسان والماضى
ضبابا حجريا في عيون الشعراء

وحيثما يسكن فينا شبح الرهبة ، وانحناءة الرجاء
وحيثما تفجؤنا أسئلة الأشياء
وحيثما نبكى ، ثم لا نبكى
وتعلو حولنا شواهد البكاء ،
كعاشق مثلك

هل أقدر أن أسقى بعض الورد في دريك ؟
هل يمكنني أن أشعل الظلمة بالغناء

أنشودة تحت المطر

مِنْ بَعِيدٍ ، تُطِلُّ صُنُوبِرَةَ الْجَبَلِ الْأَطْلَسِيِّ بِزَيْتِهَا
وَتَلُوحُ لِعَاشِقِهَا ، جَبَلًا مَشْمَسًا مِنْ بَعِيدٍ
كَأَنَّ اللَّقَالَقَ فِي الْأَزْرَقِ اللَّازُورِدِيِّ
لَمْ تَبْنِ صَوْمِعَةً لِلْغِيَابِ
وَلَمْ تَتَّقِدْ عَطْشًا فِي أَنْفَعَالِ جَدِيدِ
وَكَأَنَّا افْتَرَقْنَا ، وَلَمْ نَفْتَرِقْ قَطْ
ثُمَّ التَّقِينَا ، وَلَمْ نَلْتَقِ الْآنَ
فِي الْجَذَعِ وَالْغَصَنِ ، وَالْعَطْرِ وَالْدَمِ
حَيْثُ تَبْعَثُ أَوْجَهَهَا الرُّوحَ فِي وَطَنِ مِنْ جَلِيدِ

مطر أنت ، يا أنت ، يهطل فوقى
أنا المطر المتحجر في صدف الكلمات
أنا الشفق المترجرج في الغيم والصحو والكبرياء البطيء العنيد
ربما انكفاً الواقفون على شرفات المدينة
كى لا يروا سفر النار في ثلج هذ المساء الشتائى . . .
في موج هذا السكون الثقيل العتيد !

هكذا جاء في الكتاب

لستَ في زرقة السماوات ، أو حُمْرَة السحاب
لستَ إلا مساحة عكستُ صورة الخراب
أترى الآن كيف تنتقم الأرض والتراب
كيف أصبحتَ هيكلًا عاريًا . . . ساقط الحجاب
أترى الوهم ، كيف يلتف حبلًا على الرقاب
والخطايا وقد غدون زوايا للإكتئاب
أترى الخوف ، كيف يفترش الصمت والغياب

* * *

ويقول الذي يقول غدًا . . . ساعة الحساب

ربما كان ناسيا ، أنه جانب الصواب
ربما اغتاله المراءون ، من صفوة الصباح
بالجواري المغنيات . . . وباللهو والشراب
ربما لم يشأ . . . ولكنه التذ واستطاب
ويخط المنجمون ، على الرمل في اضطراب
ويقولون : إنا رأينا في الكتاب ا

رقصة الجنون

وَبَعِيدًا عَنِ الْحَلْمِ
تَسْقُطُ جَوْهَرَةُ الرُّوحِ مَطْفَأَةً
وَيَسْوَدُ الظَّلَامُ
وَبَعِيدًا عَنِ الزَّمَنِ المَاورَائِيِّ
تَغْدُو الطَّوَاوِيسُ أُغْرِبَةً ،
وَتَمُوتُ الخَطِيُّ فِي الزَّحَامِ
وَبَعِيدًا عَنِ الشَّعْرِ وَاللَّهِ . . .
تَنَحْدِرُ الشَّمْسُ ذَاتُ الصَّوَاعِقِ
مَقْرُورَةً فِي العِظَامِ

وكان السماء هنالك غير السماء
ووقع الحوافر
ينقش فوضاه ، في جبل من رخام

* * *

أو تدرين؟ يا أنت؟
بي من جنونك ما ليس بي
من جنون المقادير
تثقبني ذرة من تراب
وتغسلني قطرة من غمام

وَأَسْأَلُ تِلْكَ الْوَجُوهَ : لِمَاذَا تَغُوصُ اضْطِرَابًا
وَحِينَ تَهْبُ الرِّيحُ عَلَيْهَا تَصِيرُ سَحَابًا
وَأَصْغَى طَوِيلًا . . . وَيَنْهَمِرُ الصَّمْتِ حَوْلِي . . .
وَيَخْضِرُ عُشْبُ الْكَلَامِ !

الفهرست

5	الإهداء
7	إشارات
10	المقدمة / بقلم الدكتور محي الدين صبحي
16	لوجهك يا سيدى !
23	شيخات جبال الأطلس
31	تداعيات في زمن جورج غانم
40	صورة السماء
44	بالحب أو بالرحيل !
48	غيوم المدن الصفراء
51	لحظة ياسحاب الجمال

54	من شرفة باريزية
58	كتابات قديمة !
60	تقاسيم على المتدارك
63	زهر الكلمات
66	المتفرد بذاته
69	تداخلات
72	بين النقيضين
75	قداس أفريقي لروح الشيطان
78	لا شيء يامرّج الزهور
82	الكرنفال
86	قمر للغناء
89	مونولوج داخلي
92	الرجل الذي خانوه
96	مرآة على النفق !
99	مولد أغنية
103	ايرما الطفلة والجنرالات !
106	الصورة الأخرى للشاعر

109	تجاعيد هذا المساء
112	رتوش على لوحة صومالية
115	ترنيمة ليلة رأس السنة
118	صورة الماضي
120	قوس الليل .. قوس النهار
124	بعض الناس !
127	شعراء وسلاطين
130	موسيقى فوضى الأشياء
133	الرقم المفقود في القدس
136	طائر النورس ينفر البحر
139	رحيل المفاجأة
142	أنشودة تحت المطر
145	هكذا جاء في الكتاب
148	رقصة للجنون

رقم الإيداع ٧٦١٨ / ٩٤
I.S.B.N 977-09 - 0221 - 7

مطابع الشروقة

القاهرة، ١٦ شارع جواد حسي - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

